ثورة بني شقران[1] (1914)

وموقعها من المقاومة الوطنية الجزائرية للاحتلال الفرنسي.

د. عدّة بن داهـــة*

مقدمة: هناك حلقات في المقاومة الوطنية الجزائرية، ظلّت شبه مفقودة، من بينها أحداث هامة شهدتها جبال بني شقران في سنوات متتالية، كان أهمها تلك الحركات الاحتجاجية لقبيلة أولاد سعيد، وشارب الريح، وبني خنيس، والقلايلية، وأولاد قادة، والبحورات، والحازات، وأولاد سيدي أعمر بن ميمون وأولاد عيسى في شهر أكتوبر **1845**؛ واحتجاج قبيلة بني خنيس على القانون الغابي الصادر في **1851/06/16** والذي مس أجزاء من غابة بني خنيس؛ ثم احتجاج قبيلة أولاد سعيد ضد قرار الماريشال الفرنسي راندون –وزير الحربية- القاضي بتحديد أراضيها، وحجز الأحباس بها سنة **1856**م؛ وأيضا الاحتجاجات التي اتخذت طابع العنف ضد إجراءات المصادرة لأراضي الفلاحين الجزائريين في دوار سيدي بوحنيفية سنة **1867**، انتهاء إلى ثورة بني شقران في **1914**.

ومثل هذه الحركات الاحتجاجية، والانتفاضات الشعبية لسكان هذه الجهة من وطننا العزيز، قد يطوي النسيان أخبارها ما لم نزيح الغبار عنها.

وهي الحركات التي يُستوحى من خلالها بأن شهية سكان بني شقران فُتحت لجهاد المستعمر الفرنسي ومقاومته مبكرا، وفي أعقاب احتلال فرنسا للجزائر[2] وذلك بحكم مناعة هذه الجبال، وحصانتها الطبيعية، وشهرة سكانها وقدرتهم على القتال وتحمل المشاق.

وعلى هذا الأساس أضحى من الضروري التطرق إلى بعض الجوانب المغمورة لمقاومة سكان هذه الجهة من الوطن ونفض الغبار عنها بتسليط الضوء على ثورة بني شقران **(1914)** بحيث يبقى التركيز عليها، وعلى ما أحاط بها من ملابسات، من الأمور الضرورية لمعرفة خلفياتها وأبعادها في محاولة للكشف عن مضامينها (السياسية، والاقتصادية، والاستراتيجية...) ومن ثم تقويمها، وتصنيفها ضمن قائمة الثورات التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاحتلال

*- أستاذ محاضر أ في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ- كلية العلوم الإن والاج- جامعة معسكر.

الفرنسي، على أنه ينبغي أن يفهم بأن هذا التقويم لم يؤت بالسهولة، ما لم توَفَّ الموضوع حقَّه من الدراسة، ومن البحث العلمي المعمق والدقيق. أما الهدف من هذه الدراسة المتواضعة فيتمثل في ربط حاضر هذه المنطقة من الوطن بأصول وجذور المقاومة، والنظر في المرتكزات الشرعية للقناعة التي تبناها ثوار بني شقران.

وهكذا يبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو إذن «هل حركة بني شقران المحدودة في مجالها الجغرافي، وبعدها الزماني هي ثورة ؟». وللإجابة على هذا السؤال لا يكفي أن ندرس أسبابها، وظواهرها، وآثارها فحسب، بل يجب أن نقف بالفعل على التغيير الحقيقي الذي أحدثته في الواقع القائم (في المنظومة الاقتصادية، العسكرية، الذهنيات...).

ففي حقيقة الأمر، عندما نستقرئ النصوص المعاصرة للأحداث ونحللها، ونفحص معلوماتها بدقة المؤرخ المتمحص، فإننا نخلص إلى نتيجة تثبت اعترافنا بأن ما وقع في بني شقران سنة **1914** كان ثورة، وليس حدثا عفويا- طائشا- لم يحضر له.

إن رد فعل فرنسا العنيف، والقمع الأعمى للقضاء على هذه الثورة في مهدها والحيلولة دون انتشارها، وذلك بحشد واستقدام قوات عسكرية كبرى لإطفاء نارها، والانتهاء إلى إصدار أحكام بالإعدام في حق مفجريها، يكذب بشكل قطعي مزاعم فرنسا بأن ما وقع في سنة **1914** ببني شقران ما هو إلا تمرد وعصيان، وذلك بالتركيز على مصطلح أحداث، متحاشية استعمال مصطلح ثورة، وكأنّ ما جرى لم يوجد وراءه أي تنظيم.

وعلى أية حال فإن هذه الحركة الاحتجاجية توفرت على الحدّ الأدنى للأطر التنظيمية المطلوبة في الثورة، كوفرة عنصر الزعامة أو القيادة، والتحضير المسبق مما يدل أن أصحابها كان لهم برنامج وخطة وأهداف (وعدوا الفلاحين الجزائريين بتمليكهم للأراضي الزراعية التي بأيدي الكولون)، والتمتع بتأييد قطاع عريض من الشعب، والتأثير بشكل مباشر وغير مباشر على السلطة الاستعمارية التي اهتزت أركانها، كما كان لهذه الحركة حدود مكانية وزمانية.

مثل هذه العوامل تشكل لدى القارئ قناعة مفادها أن حركة بني شقران لعام **1914** كانت ثورة- منظمة- ضد الاستعمار الفرنسي للجزائر، وليست مجرد أحداث طائشة كما تدعي سلطات الاحتلال الفرنسي.

وفي هذا العرض الموجز لا ندعي الإتيان بشيء جديد فيما يتعلق بسرد الوقـائع وعـرض الأحداث الأليمة لهذه الثورة التي سبق لبعض الأساتذة أن كتبوا عنها وتناولوها بالدراسة ولـو عرضيا[3].

الجذور التاريخية لثورة بني شقران: فعلى الرغم من عزلة جبال بني شقران، وصعوبة مسالكها، وافتقار تربتها، إلاّ أنها عرفت استيطانا أوروبيا مكثفا الغرض منه محو كل أثر لذكرى مقاومة الأمير عبد القادر في المنطقة، وذلك منذ العقد الثاني للاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث تعود عملية الاستيطان المبكر في هذه الناحية الجبلية إلى عوامل يمكن وصفها بالجيوستراتيجية والجيوسياسية؛ فسكان بني شقران عرفوا برفضهم للسيطرة وللاحتلال الأجنبي عبر مر العصور، كما أنهم كانوا أول من احتضن مقاومة الأمير عبد القادر التي كانت سلطات الاحتلال تسعى جاهدة لاجتثاثها واستئصالها.

وعليه تعزى أهم الأسباب غير المباشرة لثورة بني شقران إلى العوامل الآتية:

1- مصادرة الأراضي الفلاحية: لتجريد الفلاحين الجزائريين من أراضيهم الفلاحيـة عمـدت سلطات الاحتلال الفرنسي إلى سن قوانين عقارية جائرة تسهل عليها الاستيلاء على مساحات زراعية واسعة وتثبيت مستوطنين فرنسيين وأوروبيين بها؛ منها على سبيل المثال لا للحصر.

- قرار الحاكم العام في 1841/05/30 الذي ينص على حجز جميع الممتلكات التي تخلى عنـها أصحابها في مدينة معسكر، وفي الأراضي المحيطة بها ضمن شعاع 24 كلم[4].

- القانون الغابي لـ 16 جوان 1851 الذي مس غابة بني خنيس التي تغطى مسـاحتها 3698 هكتار، وهذا على الرغم من كونها ملكية جماعية تم شراؤها وفق عقد مكتوب من باي معسكر في عام 1801 بمبلغ 2500 ريال، والتي خضع منها 2040 هكتار للقانون الغابي[5].

- المرسوم الإمبراطوري المؤرخ في 1864/04/16 القاضي بتحويل أملاك أولاد سيدي دحـو، وأولاد سعيد والفراقة.

- المرسوم الإمبراطوري المؤرخ في 1865/03/22 – تنفيذا للقرار المشيخي (1863/04/22)- القاضي بمصادرة أملاك عتبة الجبالة، وبني ناير، وبني عذو، والقلعة.

- المرسوم الإمبراطوري (1865/11/09- تنفيذا للقرار المشيخي 1863/04/22)- الذي حدد أراضي قبيلة البرجية بمساحة إجمالية تقدر بـ 19879 هكتار، ووزعها على أربعة دواوير (بـني

ناير: 8421 هكتار؛ أهل الحسيان: 4590 هكتار؛ الصفافح: 3934 هكتار؛ الصحورية: 2933 هكتار).

- المرسوم الإمبراطوري المؤرخ في 1866/04/25، الذي تم بمقتضاه تحديد أراضي قبيلة أولاد سعيد المقدرة مساحة أراضيها بـ 20.762 هكتار.

وللعلم فإن هذه القبيلة قد أبدت عصيانا وتمردا خلال شهر أكتوبر 1845، ونتيجة عدولها عن التمرد في الشهر الموالي، لم تطبق عمليات الحجز والمصادرة كإجراء عقابي سوى على بعض الفلاحين من أبنائها ممن رفضوا الإدغان لفرنسا والإمتثال لقوانينها[6]، وقسمت أراضي هذه القبيلة إلى خمسة دواوير (أولاد سعيد التي تجمع شارب الريح بمساحة 8527 هـ، وبني خنيس المشكلة من بني خنيس والقلايلية وأولاد قادة بماسحة تقدر بـ 8531 هـ، البحورات المكونة من أربع مجموعات: البحورات، الحازات، أولاد سيدي اعمر بن ميمون، وأولاد عيسى بماسحة تقدر بـ 3704 هـ).

- المرسوم الإمبراطوري الصادر في 1866/06/16 الذي نصت مادته الأولى على تفكيك قبيلة الفراقة التي قسمت أراضيها على دوارين: دوار الفراقة المشكل من فصيلة الزهادلية، والفراقة الفواقة والفراقة التي التحاتحة بـ 8719 هـ؛ (و1509 نسمة)، دوار عتبة الجلابة المتكون من الفصائل التالية: عتبة الجلابة، هبرة، وشارب الريح بمساحة زراعية إجمالية تقدر بـ 3236 هـ (و876 ساكن).

ومن بين المغتصبة أراضيهم بقبيلة الفراقة المدعو الحاج الحبيب بلحاج الذي احتجزت منه 04 هكتارات ومنحت للمستوطن الأوروبي برجوا (Bourgois) لغرض بناء مصنع الأجور مقابل تعويض يقدر بـ 01 هكتار من الأراضي الزراعية المقتطعة من الأملاك العامة[7].

وتدعي سلطات الاحتلال بأن جميع الفلاحين الجزائريين من قبيلة الفراقة ممن تنازلوا عن أراضيهم لصالح المستوطنين الأوروبيين الخمسة الذين ثبتوا بهذه القرية قد تم تعويضهم باستثناء الحاج الحبيب بلحاج السالف الذكر[8].

-المرسوم الملكي لسنة 1870 الذي نص على مصادرة أراضي ببلدية وادي تاغية لصالح المستوطنين الأوروبيين تقدر بـ 9622 هـ تتوزع على دوار مشاشيل، أولاد برباطة، والبنيان[9].

وتشير الإحصاءات أن الأراضي الزراعية التي تم الإستيلاء عليها فيما بين **1841-1879** بدائرة معسكر قد بلغت **37.309** ه[10].

أما الأراضي التي تم تحويلها إلى المعمرين خلال الفترة من **1880** إلى **1914** بنفس البلديات التابعة لدائرة معسكر فبلغت **116.000** هـ .

وفي حين بلغت مساحة أراضي المعمرين المزروعة فعلا **83.056** هـ سنة **1914** فإن الفلاحين الجزائريين لم تبلغ أراضيهم المزروعة خلال هذه السنة سوى **125.388** هكتار مع أن عدد السكان الجزائريين قدر في نفس السنة بـ **130.228** نسمة، بينما لم يتعد عدد المعمرين الأوروبيين **14.471** نسمة[11].

وهكذا لحق الخراب بالفلاحين الشقرانيين نتيجة فقدانهم لأراضيهم الزراعية وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور موجة من الغضب في صفوفهم، وبروز حركة المارقين عن القانون من أمثال بوزيان القلعي فيما بين **1863-1876**[12].

2- إقامة المراكز الاستيطانية: لازمت عملية مصادرة الأراضي الفلاحية واغتصابها من أصحابها الشرعيين حركة استيطانية واسعة النطاق، إذ شهدت جبال بني شقران وأراضي الحشم بسهل غريس تثبيتا للمستوطنين الأوروبيين بها سنة **1841** مباشرة بعد سقوط مدينة معسكر في يد جيش الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال "بيجو" رفقة الجنرال "تامبور"، بحيث تحولت معسكر نفسها إلى مركز استيطاني، أصبحت تسكنه ألف نسمة من أصل أوروبي بعد خمس سنوات من انتزاعها من يد الأمير عبد القادر.

وقائمة القرى الاستيطانية الناشئة في منطقة بني شقران وسهل غريس فيما بين **1841-1900** تؤكد لنا مدى التطور السريع للاستيطان وللزراعة الاستعمارية التي اصطحبتها عملية اغتصاب مكثفة للأراضي الزراعية في هذه الجهة من الوطن، كما يظهر من خلال الجدول الآتي[13].

العدد	المركز الاستيطاني	المساحة (بالهيكتار)	تاريخ النشأة أو التوسع
01	معسكر	5109	1841
02	سان اندوي (خصيبية)	3549	1845
03	سان هيبوليت (مامونية)	555	1845

04	وادي الحمام (حسين)	700	1851
05	باريغو (المحمدية)	15522	1858
06	أوزيس لوديك (وادي الأبطال)	1882	1884
07	باليكاو (تغنيف)	1253	1870
08	عين افكان	1850	1873-1872
09	واد تاغية	670	1873-1872
10	كاشرو (سيدي قادة)	532	1874
11	فروحة	893	1874
12	ماوسة	1149	1875
13	ويزغت	691	1878
14	تيارفيل (غريس)	2031	1878
15	عين فارس	1062	1878
16	مطمور	1498	1879
17	تيزي	1451	1879
18	كاشرو (توسيع)	210	1887
19	البرج		1887
20	دومبال (هاشم)		1900

وقد منحت هذه المراكز الاستيطانية إلى جانب الأراضي الفلاحية المغتصبة المستوطنين مكاسب استراتيجية طالما حلموا بها، وسعوا إلى تحقيقها على حساب معاناة الفلاحين الجزائريين، كما أنه موازاة مع اغتصاب الأراضي وتثبيت الكولون فيها مارست سلطات الاحتلال سياسة قمع وإرهاب ضد السكان وذلك عن طريق التغريم والعقاب، فخلال عامي 1913-1914 طبقت عقوبات على 600 شخص[14]، يضاف إلى ذلك تعسف القياد وظلمهم كما هو شأن القايد بن شنان لخضر الذي ابتز منهم 1500 فرنك مقابل وعود بإعفاء أبنائهم من الخدمة العسكرية الإجبارية والتي مع هذا أداها أبناؤهم.

مرسوم التجنيد الإجباري: لا ريب في أن عملية اغتصاب الأراضي، وتوسع حركة الاستيطان قد أثرت تأثيرا بليغا في حياة المجتمع الشقراني المرتبط بأرضه والغيور عليها.

فالوجود الاستعماري الماثل فوق أرض أجداد الشقرانيين منذ بداية الاحتلال غرس في نفوسهم شعور الحقد على فرنسا، وجعلهم يتحينون الفرصة للانتقام منها. وما عَدَمُ الترحيب بقرار التجنيد الإجباري سوى موقفا يعكس فلسفة الرفض والتحدي للاستعمار لديهم.

ومن هنا يفهم أن مرسوما **01/31** و**1912/02/03** القاضيان بتعميم التجنيد الإجباري لم يكونا وحدهما المسؤولان عن هذه الحوادث التي كذبت مزاعم فرنسا في أن المقاطعة « لا يوجد بها من يُكِنُّ حِقدا للإدارة أو من يعاني من بؤس أو أي ضيق آخر قد يثير الغضب[15].

وللعلم فإن حوادث احتجاجية مماثلة شهدتها جهات أخرى من الوطن منها برج بوعريريج، ندرومة وتلمسان سنة **1912**، إلا أن حركة بني شقران في **1914** ثم مليانة والأوراس سنة **1916** اتخذت طابع العنف[16].

التحضير للثورة: لم تكن حوادث بني شقران مغامرة أو حركة عفوية، وإنما ثورة حضر لها مسبقا، وعبَّر فيها المواطنون الجزائريون عن رفضهم للتجنيد، وللمشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر بطريقة حضارية عن طريق تنظيم مظاهرات ومسيرات احتجاجية سلمية بشوارع مدينة معسكر، وذلك قبل أن يجدوا أنفسهم مجبرين على العصيات واستخدام العنف والدخول في مشادات مع قوات الأمن أيام المراجعة والتجنيد.

حسب تقرير محافظ الشرطة الاستعمارية بالمحمدية، وبناء على معلومات تلقاها من أحد الوشاة –يدعى محمودي قدور ولد البشير وهو طالب قرآني في دوار حبوشة- فإن المحرض على الحركة الثورية بالمحمدية هو ابن الشيخ بن عبو من قبيلة بني شقران- أحد مريدي زاوية الشيخ بن تكوك.

ويذكر نفس التقرير بأن المدعو بن عمارة قدور من دوار بني نسيغ، قد أبلغ مصالح الدرك الاستعماري بالتحضير للثورة، وأقسم لهم بأن السكان يهيئون لاجتياح مدينة المحمدية، وقرية الصحاورية[17].

بدأ الاستعداد الفعلي للثورة والعصيان خلال يوم **1914/08/22** أثناء إنعقاد اجتماع لأعيان القبائل التالية: بني شقران، أولاد سيدي دحو، أهل مجاهر، أولاد خليفة، أهل البرج،

سكان حي باب علي في قرية فروحة، استعرضوا فيه أحوال الحرب العالمية، والخسائر الفرنسية وجددوا رفضهم للتجنيد الإجباري[18]، خاصة وأن خبر قصف السفن الحربية الألمانية لمدينتي عنابة وسكيكدة قد بلغهم، كما حمل إليهم الجرحى العائدون من جبهة القتال نبأ هزائم فرنسا في معركتي المارن وشارل روا ولم يعبأوا بنداء الحاكم العام ليتو (LUTAUD) الداعي إلى التحلي بالهدوء والشجاعة.

في 29 أوت 1914 وذلك بمناسبة عيد الفطر اجتمع أعيان قرية سيدي دحو عند ضريح سيدي علي بن عثمان لدراسة الوضعية والخروج بقرار يؤكد رفضهم للتجنيد العسكري الإجباري، وقد حضي قرارهم بتأييد سكان حي باب علي بمعسكر، والفراقيق والبرج وفليتة[19].

وقبل بداية التمرد والعصيان بخمسة عشر يوما أي في 1914/09/06 قرر أعيان قبيلة بني شقران، وحشم الغرابة تنظيم اجتماع حضره القياد وأعضاء الجماعة، وهذا بعد أن انقسموا إلى مجموعتين؛ الأولى اجتمعت بمعسكر، والثانية بسيدي دحو، ليقسم الجميع على شن ثورة ضد الاستعمار الفرنسي تحت حجة معارضة التجنيد الإجباري، إلا أن حشم الغرابة انسحبوا تلقائيا من هذه الحركة الثورية قبل وقوع الأحداث.

وعليه منع سكان سيدي دحو أبناءهم المسجلين في قوائم التجنيد من التوجه يوم 1914/09/21 إلى مقر بلدية معسكر لإجراء الفحوص الطبية؛ وتجمع عدد منهم أمام مقر البلدية، فخرج إليهم المتصرف الإداري ونصحهم بتقديم أبنائهم لإجراء الفحوص الطبية يوم 1914/09/28.

وفي يوم 1914/09/22 تواصلت الاستعدادات بعقد اجتماع عند ضريح سيدي محمد بوجلال حضرته وفود من سيدي دحو، ومجاهر، وأولاد خليفة وحشم الغرابة، وبني شقران، تمت فيه مناقشة إمكانية توسيع النطاق الجغرافي للثورة، والسعي لكسب المزيد من المساندة والتأييد الشعبيين، جددوا فيه عهدهم بعدم تسليم أبنائهم للسلطات الاستعمارية[20].

وعليه قرروا إرسال مبعوثين سرًّا إلى القرى والمراكز الاستيطانية التالية لحمل سكانها على تأييد الحركة، وهي على التوالي: تغنيف، سجرارة، الغمري، الحمدية، الرحوية، فرندة، مدريسة، بوقيرات، حبوشة، القلعة، القيطنة، تيزي، وبوحنيفية[21].

جولات ومساعي التهدئة: جدد السكان مظاهرتهم يوم 1914/09/28 أمام مقر البلدية.

وأمام هذه الوضعية أعطت إدارة الاحتلال أمرا للشرطة الاستعمارية بإلقاء القبض على أعيان قبيلة بني شقران، لكن المتظاهرين هاجموا الشرطة وأطلقوا سراح المعتقلين.

وفي مساء هذا اليوم حاصر جيش الاحتلال قرية سيدي دحو وأعتقل أعيانها وساق شبابها إلى الثكنات دون فحص ولا قُرعة.

وبعد مرور أربعة أيام (1914/10/02) قام رئيس دائرة معسكر بجولة في بني شقران لغرض إثارة الرعب والفزع في قلوب السكان، إلا أنه عاد منها إلى معسكر في غاية الاستياء.

وفي اليوم الموالي (السبت 1914/10/03) نظم الجنرال "لابيت"- قائد الناحية العسكرية- مناورة في جبال بني شقران تظاهر فيها بقوة فرنسا التي أشيع أن معظم قواتها العسكرية انتقلت إلى الوطن الأم (فرنسا) لمواجهة الخطر الألماني.

وتزامنا مع هذه المناورة العسكرية بعثت فرنسا في ذات اليوم (1914/10/03) بإمام المسجد الكبير لمدينة معسكر (م.ع.ق) في مهمة وساطة الإقناع سكان قرى ودواوير بني شقران بالامتثال لقانون التجنيد الإجباري.

وفي طريقه إلى دوار حجاجة نزل عند المدعو "طوبال علي" بدوار أولاد عواد وناشده بدعوة سكان الدوار إلى تقديم أبنائهم للمتصرف الإداري أثناء عملية الإحصاء.

ومع أن سكان دوار أولاد عواد أكدوا للإمام في يوم الغد (1914/10/04) عدم معارضتهم للقانون إلا أن رجلا قدم من بني نسيغ أبلغه بأن بني مروان، وبني خنيس، وبني نسيغ، والفراقيق، وأولاد سعيد، وحجاجة، ومجاهر، وغريس، قد قرروا الاجتماع بحويطة سيدي مفتاح بدوار الفراقيق مساء هذا اليوم؛ فشق الإمام طريقه إليهم تحت حراسة أربعة فرسان (طوبال علي، طوبال عبد القادر، طوبال بخدَّة، دالي عبد القادر)، وستة راجلين، وعندما حلَّ بهم وجدهم مجتمعين بالحويطة وأحصى عددهم بمائة رجل ينقسمون إلى مجموعتين؛ وتساءل مع المدعو "الحاج ولد علي بلحاج" أحد أعيان دوار تاخورات بأولاد سعيد عن سبب الاجتماع، فقال له بأنهم جاءوا للتعاهد على عدم تقديم أبنائهم للمتصرف الإداري أثناء عمليات الإحصاء؛ فأجابه رسول فرنسا بأن عائلته تحضى بجميع الامتيازات، وأن أفرادا منها يشغلون وظائف عمومية من بينهم: قايد أولاد سعيد، وحارس الحقول بالبحورات؛ لكن الحاج

ولد علي بلحاج ردَّ على عناد الإمام وإصراره مهددا إياه بالقتل، ودعاه للعودة سليما إلى معسكر[22] ؛ وقال له أن لم أقتلك أنا فسوف يقتلك إبني، كما أجابه المجتمعون بحويطة سيدي مفتاح بأنهم لا يخالفون الميثاق الذي ضربوه للسيد شعالة بن عبو بن محمد- من دوار أولاد الشيخ- الذي قال لهم بأن لعنة الله وغضبه على كل من لا يخالف قوانين فرنسا.

كما أنه تخلل هذه التحضيرات والأحداث توزيع مذكرة **(Factum)** في منطقة بني شقران يدّعي صاحبها العلم بالغيبيات، تنسب إلى الشيخ أبي راس الناصري[23]، الذي توفي سنة **1827** (ثلاث سنوات قبل احتلال فرنسا للجزائر).

ولما كان منهاج المؤرخ يعتمد على الشك، فإنه تمشيا مع التفسير العلمي للتاريخ.

1- يبدو أن الوثيقة هي من صنع الاستعمار وعملائه حتى يقتنع النـــاس أن اســـتعمار فرنســـا للجزائر قدرا مقدورا، خاصة وأن للشيخ بوراس منزلة اجتماعية لدى سكان المنطقة.

2-إن المتفحص بدقة لهذه المذكرة يخلص إلى نتيجة مفادها أنها كتبت في حدود سنة **1906** من قبل شخص شبه أمي ليس في المستوى العلمي للشيخ بوراس الناصري، يرجح أنه من ســـكان المجرى الأدنى لوادي الشلف– فيما بين عين كرمن وغليزان-، فهو يسرد ويروي تفاصـــيل في هذه المذكرة (المنشور) عن الأحداث التي مرت بها الجزائر منذ نزول الفرنسيين بسيدي فـــرج عام **1830** إلى غاية الاستيلاء على واحة فيجيج، زد على ذلك يتهم فيها جيش الأمـــير عبـــد القادر بارتكاب الفساد، وقتل الأمير للعلماء، وأخذه برأي ضعفاء العقول، متناســـيا أن شـــدة الأمير وقسوته تجاه أعداء الوحدة الوطنية التي كان ينشدها أمر لابُدَّ منه.

الصدام المسلح: صباح يوم **1914/10/05** جمع نائب المتصرف الإداري **(Pruengueber)** سكان قرية الفراقيق، ونادى بأسماء ثمانية وعشرين شابا من المدعوين للتجنيد الإجباري فلم يرد عليه أحد، فقرر اعتقال ستة من أعيان القرية، وعندما قاوم الحاضرون عملية الاعتقال، أطلق نائب المتصرف الإداري نيران مسدسه في اتجاه شعالة بن عبو الذي كان ينادي إلى الجهاد، فردوا عليه بالمثل، فقتلوا اثنين من عناصر القناصة الأفارقة، وأوقعوا اثنين آخرين في الأسر[24].

وفي نفس اليوم حل بالمحمدية **(Perregaux)** الفيلق الثالث عشر "للزواف" قادما مـــن مدينة الأصنام **(Orleans ville)**، كما وصل إلى القرية أعيان بني نسيغ، وأولاد سعيد، وبني خنيس ليعاهدوا الشيخ شعالة بن عبوا على حمل السلاح.

تحت الضغط قرر نائب المتصرف الإداري الانسحاب صوب المحمدية، فقطع الشـــقرانيون أمامه طريق الرجعة، ولولا خيانة القايد "ش". عبد القادر وشاوشه "م". الطاهر لهلك والفرقـــة العسكرية ورجال الشرطة المرافقين له[25].

وفور الانسحاب قرر السكان إخلاء القرية واللجوء إلى غابة فرقوق. وفي ليلة **1914/10/06** أشعلوا النيران في قمم الجبال إيذانا بإعلان الانتفاضة المسلحة. وأمام خطورة الموقف، طالب النائب كولان **(COLIN)** من الوزير المقيم بالجزائر تسليط أشد العقوبات على المتسببين في هذه الأحداث التي وصفها بالعنيفة[26]، بينما جرَّم الموفد المالي "أ.رَاي" **(A.REY)** سلطات الاحتلال، ووجه إليها أصابع الاتهام[27].

وفي صباح يوم **1914/10/06** شرع جيش الاحتلال في قمع الانتفاضة بطابور قوامه **1.500** رجل استقدِمُوا من الأصنام (الشلف)، معسكر، ومستغانم.

فبادر الشقرانيون بإطلاق النار على العناصر الأمامية للخيالة ومشاة جـــيش الاحـــتلال الذين كانوا يتقدمون تحت حماية وغطاء نيران الرشاشات، فاسقطوا اثنين من الخيالة.

وواصل المجندون الفرنسيون سيرهم حتى قبة سيدي "احمادة" حيث توقفوا بها لمدة ساعتين. وعن عمليات القمع يقول الجنرال "لابيت" مفتخرا بجرائمه: «لقد أحرقت عشـــرين كوخـــا شاغرا، وأكواما من التبن في طريقنا، وأمام القمع الشديد أُرغم أهالي الفرقيق، وبني نسيغ على إرسال بعض الرهائن، وبعض المطلوبين من قِبَل الإدارة الاستعمارية»[28] ويضيف قائلا «وبقرية الفراقيق قصف الجيش المسجد بالمدافع وسلب الحبوب والمواشي والأمتعـــة». وقـــد وصـــف **FLANDRIN** النائب بمجلس الشيوخ هذه العملية بالدموية[29].

وفي هذا اليوم أوفد بنو شقران بعضا من رجالهم إلى تيغنيف للالتقاء بأشخاص مـــن دوار الطمازينة وحبوشة، وفي مقدمتهم المدعو "رماسي قدور".

وصباح يوم **1914/10/07** أقام الجنرال "لابيت" مراسيم جنائزية لدفن مجندي القناصـــة الأفارقة اللذين قُتِلا.

وفي يوم **1914/10/08** حضر أربعة وستون شابا من بين ثلاثة وسبعين شابا تمت دعـــوتهم لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية في قرية بني نسيغ، بينما حضر ثلاثة شبان فقط مـــن ضـــمن الثلاثة عشر المدعوين من أبناء قرية الفراقيق.

وفي اليوم الموالي **(1914/10/09)** أعلن سكان بني نسيغ والفراقيق عن استسلامهم. وهكذا واصل جيش الاحتلال اجتياحه لقريتي الفراقيق و وأولاد سعيد خلال يومي **10** و**1914/10/11**، وفي يوم **1914/10/13** غادر الطابور المحمدية باتجاه قرية بني خنيس التي خضعت لعملية تمشيط وحصار دامت حتى يوم **1914/10/20** حيث حضر لعملية الإحصاء تسع وعشرون شابا من ضمن الثلاثين الذين تمت دعوتهم.

ويختتم التقرير بقول ينسب إلى الجنرال لابيت «لقد قنبلت يوم **1914/10/15** بعض الأكواخ في دوار أولاد بن عثمان»[30].

وخوفا على مستقبلها في المنطقة، ومنعا لتكرار ما حدث، وحتى تحول دون تصاعد التوتر والعنف لجأت سلطات الاحتلال إلى اتخاذ إجراءات وقائية وأمنية منها:

1- سن وزير الحربية الفرنسي لمرسوم في **1914/10/08** يمنع جرحى الحرب الجزائريين من العودة إلى الجزائر- لألا ينقلوا هزائم فرنسا في المعارك إلى الشعب الجزائري-.

2- منع القائد العسكري لقسم معسكر من اتخاذ المبادرة دون إذن من الحاكم العام للجزائر.

3- الاحتفاظ بأربعة فيالق من الزواف في الجزائر، قد كان من المقرر نقلها إلى جبهات القتال بأوروبا.

4- تأجيل الدعوة للخدمة العسكرية الإجبارية لـ **10.000** شاب جزائري، وتعويض هذا العدد بمتطوعين.

5- رفع الحصار عن المنطقة بعد احتجاج الحاكم العام للجزائر لدى مجلس الوزراء.

6- دعوة الجنرال **(MOINIER)** القائد الأعلى لقوات جيش الاحتلال في الجزائر بعدم اتخاذ أي مبادرة من شأنها الإخلال بالمشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر وتوازنه العسكري.

ومعنى هذا أن ثورة بني شقران قد فرضت على سلطات الاحتلال الفرنسي إعادة النظر في سياستها العسكرية بالجزائر.

طابع ثورة بني شقران: فعلى الرغم من أحجام رجال الدين الرسميين عن مساندة هذه الثورة فإنها اكتست طابع الجهاد المقدس بحيث تمنى كل الثوار الاستشهاد فيها مسلمين مجاهدين، فزعماؤها وقادتها كانوا من المرابطين حيث تزعمها في:

- سيدي دحو: الأخوة مصطفاوي ومكياني الهاشمي.

- أولاد الشيـــــخ: الشيخ شعالة بن عبو، وشعالة حمزة.
- البـــــــــــــرج: سي محمد بن صديق.
- لوهو، ومدريسة: مقدم الطريقة الدرقاوية.
- سهـــل غـــريـــس: بن بقرة[31].

ومع أن هذه الثورة يظهر عليها الطابع الجهادي، بحيث تم التحضير لهـــا داخـــل قبـــاب أضرحة الصالحين، كسيدي دحو، وسيدي محمد بوجلال، وخويطة سيدي مفتاح... في أعقاب الصلوات المفروضة، وقادها مرابطون، فإن الاجتماع الذي تم بسيدي دحو يوم 1914/09/06 أقسم فيه المجتمعون على تنظيم انتفاضة ثورية ضد الاحتلال الفرنسي تحت ذريعة رفض التجنيد الإجباري.

ومما يدل على أنها ثورة تحريرية تلك العبارات الواردة في المنشور الذي وزع على السكان قبل اندلاع الأحداث والتي مفادها «أن الأراضي الزراعية التي يمتلكها الكولون ستوزع علـــى الفلاحين الجزائريين بعد انتزاعهـــا منهم، لأن فرنســـا لم تعـــد لها القـــوة الكافيـــة لحمايـــة المستوطنين الأوروبيين» كما أشيع في المقاهي والأسواق والحمامات، لاســـيما في تيـــار فيـــل (غريس)[32]، كما أن صفقة زعمائها مع بعض القياد قد أفرغها نسبيا من الصفة الدينية المحضـــة وجعل منها حركة ثورية –مسلحة- ضد السلطات الاستعمارية، على أن يبقـــى التســـتر وراء الدين تكتيكا ناجحا قد نجده في جميع الثورات والانتفاضات التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.

وعلى الرغم من طابعها المحلي (غريس، زلاقة، حبوشة، طمازنية، البرج، قرشة، كسانة، لوهو، مدريسة، رحوية) وقصر عمرها (سبتمبر-أكتوبر 1914) فإنها تعبر عن استمرار مقاومة الشعب الجزائري للاستعمار الفرنسي.

سبب إخفاق الثورة: لم تفض الثورة إلى النتائج المرجوة، وذلك لعدة أسباب نوجزها فيما يلي:

أ- عدم وقوف شيوخ الزوايا والعائلات الأرستوقراطية في المنطقة إلى جانب الانتفاضة، حيث:

- أدان شيخ زاوية باب علي "ب.ش عبد القادر" حركة بني شقران ووصف أصحابها بالمجانين، والمخالفين للشريعة الإسلامية، وأوصى بالسمع والطاعة لفرنسا[33].

- وجه "ب. محمد" شيخ زاوية الكسانة الدرقاوية بفرندة عريضة باسم المقدمين والإخوان إلى رئيس دائرة معسكر يعبر له فيها عن سخطه عمَّا حدث من عصيان في ناحية بني شقران[34].

- دعا شيخ زاوية بن تكوك السنوسية إلى إلتزام الهدوء وعدم المشاركة في أية حركة ضد السلطة.

- وقف الآغا ح.عمر وعائلته- من قرية سجرارة- ضد حركة بني شقران، حيث وضع حرسه المتألف من خمسة وأربعين شخصا تحت تصرف الجنرال لابيت في أكتوبر 1914.

- إعلان عائلة "قدور ب. ش"- من معسكر- إخلاصها لإدارة الاحتلال، وقدمت ثلاثة من أفرادها للمشاركة في المعارك إلى جانب فرنسا (إلى أن لقوا حتفهم سنة 1915).

- قام "م. عبد القادر" الذي كانت عائلته تتوارث إمامة المسجد الكبير بمعسكر بالتنقل إلى قرى بني شقران وحثهم على الهدوء؛ وكان يدعو لفرنسا في خطب الجمعة بالنصر على أعدائها الألمان[35].

ب- ضعف التضامن القبلي بحيث امتنعت بعض القبائل عن المشاركة في الانتفاضة المسلحة باستثناء قرية سيدي دحو، ولوهو، ومدرسية، بينما ترددت قبيلة فليتة (دائرة مستغانم). ولم تف بوعدها الذي قطعته على نفسها في الاجتماعات التحضيرية بتزويد بني شقران بالبارود.

جـ- افتقار زعماء الثورة إلى النفوذ المعنوي الاجتماعي، فلم يكونوا أرستوقراطيين أو شيوخ طرق وزوايا، فكانوا مجرد مشرفين على المساجد والكتاتيب القرآنية.

نتائج ثورة بني شقران:

يصعب التعرف على نتائج ثورة بني شقران التي انتهت حسب الوثائق الاستعمارية بما يلي:

1- تدمير قريتي الفراقيق وبني نسيغ عن آخرهما.

2- تشريد السكان الذين هجر معظمهم إلى المراكز المجاورة (معسكر، المحمدية، غليزان).

3- إلقاء القبض على 42 شخصا مثلوا أمام المحاكم العسكرية بوهران[36]، قدم 15 منهم أمام المحكمة يوم 1914/11/21، حيث صدر حكم بالبراءة في حق 11 منهم، وحكم بالحبس الاحتياطي في حق واحد، وحكم بالسجن لثلاثة أشهر في حق اثنين، بينما توفي واحد قبل المحاكمة –أثناء الأحداث-

4- إصدار أحكام قضائية قاسية في أعقاب جلسات المحكمة العسكرية بوهران أيام 08 و09 و 10 ديسمبر 1914 في حق واحد وعشرين شخصا من بين 27 شخصا، تنص على:

- الحكم بالإعدام على 14 شخصا.

- الحكم بعشرين سنة سجنا نافذة في حق شخصين اثنين.

- الحكم بعشر سنوات سجنا نافذة في حق ثلاثة أشخاص.

- الحكم بستة أشهر سجنا نافذة في حق شخص واحد مع غرامة تقدر بـــ 20 فرنك.

- الحكم بالبراءة على 05 أشخاص[37].

5- حجز 558 قطعة سلاح حربية (معظمها بنادق صيد).

6- حجز الممتلكات العقارية للعائلات المتورطة في أعمال العنف والعصيان.

7- تطبيق عقوبات جماعية ضد قبائل بني شقران.

8- فرض غرامات مجحفة.

في يوم 1915/02/08 استفاد 13 شخصا من المحكوم عليهم من تخفيف العقوبة بالإعدام إلى السجن المؤبد؛ كما أن الحاكم العام للجزائر رفض تطبيق العقوبات ولألا تتخذ هذه الإجراءات العقابية منحى في غير صالح فرنسا، وعليه وافق فقط على العقوبات التالية:

1- عزل القايدين لخضر بن شنان وشادلي عبد القادر من منصبيهما.

2- منع سكان بني شقران من الترشح كأعضاء في الجماعة.

3- تثبيت وحدة من الزواف في المنطقة لمراقبة تحركات السكان[38].

خاتمـــة: من خلال ما سبق عرضه، لم تعد هناك الحاجة للبرهان على أن منطقة بني شقران قد قارعت الاستعمار الفرنسي منذ وطئت أقدامه أرض الجزائر الطاهرة.

وقد ظل هؤلاء يتحينون الفرصة للانتقام، والتي ستوفرها لهم بالفعل في وقت لاحق ثـــورة أول نوفمبر 1954 التي ساهموا في مجهودها بالقسط الأوفر[39]، ونظرا لما تركته ثورة بني شقران من آثار في النفوس فقد تغنى بها شعراء الملحون في المنطقة من أمثال الشاعر دحو مزيان الـــذي نورد لكم هذه الأبيات من قصيدة له- مطولة-.

إِصْــغَى لِي يَا شَابْ نَحْكِيْ لَكْ مَــا صَارْ بِيْــنْ الإِسْتِعْمَــارْ وَالْشُقْــرَانِيينْ
حَلَفُــوا بالإِيْمَان كِــي تَشْعَــلْ النــَار مَــا يَغْــدُوش أَوْلاَدْنَا عَسْكَرِيين
فــي 14 بــــدَأَتْ دَشــــرَاتْ وَدُوَار مُدَةُ الْكِفَــاحْ أَكْثَرُ مِــنْ شَهْرَيْنْ
سْــبَايَسْ وزْواف هَــاذُو قــَوْم أَشْرَارْ لَفِيْــفْ وَرُمــــاة وَكُــوْلــُوْنْ
الْجِنــرَالْ لاَبِيــتْ نَظّــَمْ الْحِصَــارْ شْحَالْ حْــرَقْ دِيَــارْ وَمَشَرْدِيْنْ
بنــيْ نْسِيْــغْ مــعَ أولاَدْ سَعِيــدْ جْوَارْ وَفْرَاقِيْقْ رْقَــاب مَشِــيْ خَوَافِيْنَ

الهوامش:

1- تقع جبال بني شقران شمال غربي الجزائر، ضمن سلسلة الأطلس التلي، وهي غير شاهقة؛ أعلا قمة بها بها تعلو جبل شارب الريح **(910م)** تقدر مساحتها الإجمالية بـ**330.000** هـ، تشترك فيها ثلاث ولايات من غــرب البــلاد (سيدي بلعبــاس، معسكــر، غليــزان)، تحتل فيهــا معسكــر **60%** من مجموع المساحة **(220.000هـ)**؛ ومن بين المدن والقرى الهامــة التي شيدت فوقها نذكر معسكر، بريقو (المحمدية) دوبلينو (حَسين)، البــرج، عيــن فارس، قلعــة بني راشد ويلــل...تبلغ الكثافة السكانيــة بهــا وسطا **46** ن/كلم**2** الواحــد، وغربا **20** ن/كلم**2** الواحد، بينما لا تتعدى **02** ن/كلم**2** الواحد شرقا. للمزيد من التفاصيل عن جبال بني شقران راجع: بن داهة عدة. اسهامات منطقة معسكر في مجهود ثورة أول نوفمبر **1954**، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة وهران **2001**.

-Le département d'Oran et son conseil général 1830-1930, Oran 1930.
-TINTOIN Robert. Les aspects physiques du tell Oranais, Oran, édition L.Fouque, 1948.

2- مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر تحولت جبال بني شقران إلى قاعدة لمقاومة الزحف الاستعماري الفرنسي والتصدي له في الجهة الغربية من الجزائر، وذلك انطلاقا من القيطنة الواقعة على ضفاف وادي الحمام بقلب جبال بني شقران، حيث بادرت **32** قبيلة تقطن جبال بني شقران وسهل غريس يوم **1832/11/27** بمبايعة الأمير عبد القادر **(1808-1883)** على الجهاد ضد التوسع الفرنسي في البلاد.

- عن هذه المقاومة راجع: إسماعيل العربي. المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط**02**، الجزائر: ش.و.ن.ت. **1982**.

3- من هؤلاء الكتاب نذكر:

- عالم محمد. المقاومة الوطنية المناهضة للتجنيد الإجباري في الغرب الجزائري: انتفاضة معسكر **1914**، د.د.م، قسم التاريخ، جامعة وهران، **1976**.

- سعد الله أبو القاسم. الحركة الوطنية الجزائرية **1900-1930**، ج **02**، ط **03**، الجزائر: ش.و.ن.ت، **1983**.

-Yahia BOUAZIZ. Les insurrections en Algérie au cours des 19eme et 20eme sicle TII, traduction: Babouche-Hafidi H, Alger 2007.
-Mahfoud KADDACHE. Histoire du nationalisme Algérien, 1919-1951, T I, Alger: S.N.E.D 1980.
-Charles Robert AGERON. Les Algériens Musulmans et la France 1871-1900, T II, Paris, P.U.F 1968.
4 -M.P. de MENERVILLE. Dictionnaire de la législation Algérienne, 2eme V. 1860-1866, Alger, Paris 1877, p 264.
5 - Ibid, p 240.
6-M.P. de MENERVILLE. Op cit, p 239.
7-Ibid, pp 248-249.
8-Ibid, p 248.

9 - غالم محمد، «انتفاضة معسكر في مطلع القرن العشرين»، مجلة التاريخ رقم **21**، الجزائر **1986**، ص **97**.

10- راجع: **Pierre GOINARD. Algérie: l'œuvre Francaise, Paris ed laffont, 1924, p 409 .**

11- غالم محمد. المرجع السابق، ص **98** .

12 -DJERLOUL AEK. Eléments d'histoire culturelle Algérienne, Alger, E.N.A.L, 1984, p 183.

13- أنجز هذا الجدول بناء على المعلومات والأرقام المستخلصة من المراجع الآتية :

-René ARRUS. L'eau en Algérie de l'impérialisme au développement 1830 - 1962, Alger, O.P.U. 1985, pp 299-301.
-Pierre GOINARD. Op cit, p 401.
-Le département d'Oran et son conseil général 1830-1930, pp 230-236.

14 -Yahia BOUAZIZ. Les insurrections en Algérie au cours des 19 eme et 20 eme sicles TII, traduction: Babouche-Hafidi H, Alger 2007, p 32.

15- غالم محمد، المرجع السابق، ص 96.

16- أحمد مهساس. الحركة الوطنية الثورية في الجزائر، من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة الحاج مسعود مسعود، وأحمد عباس، الجزائر 2002 ، ص 53

17 -C.A.O.M, G.G.A. Carton 9H/16 (révolte des Beni Chougrane). Rapport du commissaire de police, à perregaux en date du 17/12/1914.
18 -Ibid.
19 -Yahia BOUAZIZ. Op.cit p35.
20 -Yahia BOUAZIZ. Op.cit p35.
21 -Ibid.
22 -C.A.O.M, G.G.A, Carton 9h/16.(relation orale faite par Si M. Abdelkader muphti de la mosquée de Mascara d'une tournée effectuée dans les douars Beni-chougrane du 03 au 05/10/1914).

23- ولد العلامة، الحافظ، أبو راس بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر سنة 1737م-1150هـ في قبيلة بني راشد بين جبلي "كرسوط" و "هونت" قرب البنيان جنوب غربي معسكر في الغرب الجزائري، غير بعيد من الآثار الرومانية لمدينة "Alamiliaria" كرس حياته للعلم، درس وحفظ علـــوم العصر، فكان بذلك موسوعة شاملة للعلوم السائـــدة في زمانه، ألف في شتى أصناف العلـــوم والمعرفة وسجل آرائه عن أحداث العصر، ومكنته رحلاته إلى المشرق والمغرب من مناظرة العلماء والحكام في مسائل الفقه والتاريخ والسياسة... تولى وظيفة إمام في المذاهب الأربعة ومدرسا وخطيبا، وعلى الرغم من تأييده للعثمانيين في كتابته بسبب جهادهم للأسبان، وتأليفه كتابا حول فتنة درقاوة (1808م) فإنه لم يكن من المقربين إلى السلطة العثمانية الحاكمة، وقد توفي رحمه الله سنة 1823م-1238هـ ودفن بأسفل حي باب علي بمدينة معسكر.

24 - Charles Robert AGERON. Op.cit, p1143.

25- غالم محمد، المرجع السابق، ص 92.

26 -Charles Robert AGERON. Op.cit, p 1143.
27 -Ibid.
28 -C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H/16. Le S/préfet de Mascara au préfet d'Oran, Mascara le 15/10/1914.
29 -Charles Robert AGERON. OP.cit, p 1143.
30 - C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H/16 (Révolte des Beni-chougrane).
31 -C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H/16 (rapport du S/ préfet, Paul Bert)
32 -C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H/16 (confidentiel) rapport du chef de la brigade mobile de Mascara en date du 08/10/1914. transmis a Mr le secrétaire du gouvernement.

33- غالم محمد. المرجع السابق، ص 109، عن:

Ch-Robert AGERON. L'Algérie Algérienne: de Napoleon III à De Gaule Paris 1980, p 102.

34- غالم محمد، نفس المرجع، ص 110.

35- غالم محمد، نفس المرجع، ص 112.

36 -Yahia BOUAZIZ. Op.cit p37.
37 -C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H/16 (Etat nominatif des indigènes jugés au cours des séances du 8.9 et 10 décembre 1914. Et résultats du jugement, Oran le 12/12/1914).
38 -Charles Robert AGERON. Op.cit, p 1143

39- راجع: بن داهة عدة، إسهامات منطقة معسكر في مجهود ثورة1954/11/01، ماجستير، جامعة وهران 2001.